

وقد كان بايرون (8) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعره .

وعرض كازانوفنا (9) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحمر منها وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير احدانه او التهوين من قيم المجتمع ، او المباهاة بما اترف ، وانما كان راوية دقيقة امينا لا يعنيه الا التسجيل للخير وللشر وللحرام وللحلال .

3 - واذا كان أبو نواس جميل الوجه . حسن السميت ، مقترا بغراهة بدنه ، فقد كان أبو القشير كذلك ، وكان يفاخر ابا نواس بجماله .

ذكر ابن منظور في اخبار أبي نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وأنا غلام وأبو نواس غلام . وكنا جميعا نضرب بالعود ، وكنت احسن وجها من أبي نواس ، وأبو نواس اطيع ، فتفاخرنا بالشمع وغيره ، ثم قلت له : اني اجمل منك وجها ، فقال : بل أنا احسن منك وجها وأقره .

والذي يتبين من هذه المفاخرة ان ابا القشير فاخر ابا نواس بجماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه في الجمال ناشئا عن نرجسية ، وان ابا نواس رد على الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل في هذا على نرجسية ابي نواس .

على ان كثيرا من الفلمان كانوا وما يزالون في هذه السن يتباهون بجمالهم وفراة اجسامهم ، حتى ليعارضون عضلات بعضهم بعضات بعض ، وحتى ليتصارعون ويتسابقون ، وهم ابرياء من مرض النرجسية وأعراضها .

4 - اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لأبى نواس بأنه كان حسن الوجه ، رقيق اللون ابيض ، حلو السمائل ، ناعم الجسم ، منسدل شعر الرأس ، الشغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا ، وفي حلقه بحة لا تفارقه .

وذكر بعض أبيات لأبى نواس ، كقوله :

تتبه علينا ان رزقت ملاحه
فمهلا علينا بعض تيهك يا بـدر
فقد طالما كنا ملاحا وربما
صددنا وتنهنا ثم غيرنا الدهر

واستنبط العقاد من هذا ان ملامح النرجسية تكاد تتمثل من هذه الأوصاف ، فالبياض والرقرة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون ملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذة الأسطوريون اليونان نموذجا للجمال . وقال ان اللثغة وبحة الصوت تشيران الى تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج .

ولكن هذا الحكم فيه تجوز كبير ، فليس من الحتم اللازم ان يكون بياض البشرة وغضارتها وتهدل الشعر علامة من علامات النرجسية ، فطالما اشتهر رجال من الشرق والغرب بصفات الملاحة والجمال ، وهم بعداء عن النرجسية أيما بعد .

حسبنا ان نذكر منهم ابا القشير الذي فاخر ابا نواس بجماله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى نفيه منها ، وذلك انه كان يمسي في ليلة كعادته ، فسمع امرأة تشد شعرا وهي في بيتها ، منه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها

أم من سبيل الى نصر بن حجاج ؟

فلما اصبح الصباح استدعى نصرا ، فاذا هو شاب جميل يفتتن بمثله النساء ، فأمر بحق شعره ، وهو يريد التقليل من جماله ، فازداد جمالا ، فأمر بنفيه الى البصرة منعا للفتنة .

ومنهم بايرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ، وكان شعره الذهبي يتهدل على جبينه في خصلات متموجة ، وله عينان زرقاوان يخالطهما لون رمادي ، وتحيط بهما اهداب غزيرة طوال ، وشفاه قرمزتان ، وانفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافة كأنها البلور ، وصوته رخيم كأنه نعمات والحان . واما اللثغة بالراء فانها اضطراب في النطق يصيب كثيرا من الناس ، وقد اشتهر بها واصل بن عطاء ، وكان يهرب منها باجتناح حرف الراء في دروسه وفي خطبه .

واما بحة الصوت فليست دليلا على تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف في الحنجرة يعترى بعض الأسوياء الذين لا يوصفون بلون من ألوان الانحراف ، سواء اكانوا من الذكور ان من الاناث .

(8) بايرون : امينة السعيد .

(9) كازانوفنا : ستيفان زفايج - ترجمة دار الهلال

اهدين اليه ، فيهن صبية حولاء وعجوز في احدى
عينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي امره ،
فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه
القاسم ابن عبيد الله ، فعزا الحادثين الى الحولاء
والعجوز ، وكتب الي بفسيدة ، منها :

ايها المحتفى بحول وعسور
اين كانت منك الوجوه الحسان ؟
قد لعمري ركبت امرا مهيننا
ساعني منك ايها الخلصان
فتحك المهرجان بالحول والعسور
ر ارانا ما اعقب المهرجان
كان من ذلك فقدك ابنتك الحر
ة مصبوغة بها الأكفان
وتجافى مؤمل لي جليل
لج فيه الجفاء والهجران
خبر الله ان مشامة كا
نت لقوم وخبر الفسيران
انزور الحديث يقبل ام مسا
قاله ذو الجلال والفرقان ؟

واذا فلا غرابة فيما قصوا من احداث تشاؤمه
كقولهم ان ابا الحسن علي بن سليمان الاخفش غلام ابي
العباس المبرد ، كان شابا ظريفا ، وكان يعيشت باين
الرومي ، فيقرع بابه سحرا ، فيقال له : من ؟ فيقول :
قولوا لابي الحسن : مرة ابن حنضلة . فيطير ابن
الرومي ، ويقيم في بيته اياما لا يبرحه .

وقال علي بن ابراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت
بداري جالسا ، فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فامرت الغلام بالصعود الى السطح والنظر الى كل
ناحية ، ليعرف من اين تاتي الحجارة ، فعاد الي يقول :
امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت وقالت :
اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة ماء ، والا هلكنا ، فقد
مات من عندنا عطشا . فارسلت اليها امرأة من عندنا
بالماء والطعام ، فلما عادت قالت : ان الباب مقفل
عليهم منذ ثلاث ليال بسبب طيرة ابن الرومي ، لانه
كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يمشي الى الباب
والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب الباب ، فتقع على
جار له نازل بازائه وهو رجل احذب يقعد كل يوم على
الباب ، فاذا نظر اليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه ،
وقال لا يفتح الباب احد (10) .

لذلك ليست الضعيرة المرسته من شعر راسه
ديلا على ان اهله وجدوه شبيها بالبنات ، فارسلوا
ضفيرته ، اذ ان بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون
ذوانب وضاغائر للذكور الصغار ، لتدليل والتلميح
فحسب . وان كان شكلهم ابعدا ما يكون عن الجمال وعن
الشبه بالاناث .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالاحوال الاجتماعية
والسياسية في دراسة شخصية ابي نواس ، لان
شخصيته ولبدة نفسيته من ناحية ، ووليدة بيئته من
ناحية .

ومعنى هذا ان نعتد على المدرسة النفسية
والاجتماعية معا في دراسة شخصيته .

اما دراسة فنه فلا بد ان نعتد فيها على المدرسة
الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

النموذج الثالث

تطير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض احد من القدماء او المحدثين الى دراسة
ابن الرومي الا عرج على تطيره ، وضرب الامثلة من
حياته ومن شعره على تشاؤمه . واغلب الظن ان
الاحداث التي ذكروها عن تطيره حقائق واقعة ليس
فيها تزويد ولا مبالغة ، لانه هو نفسه سجل تشاؤمه في
شعره ، ودافع عنه ، اذ كان يعرف من نفسه انها
شديدة الحذر ، ويرى ان الحذر سلم الى الامان :

فأمن ما يكون المرء يوما
اذا لبس الحذار من الخطوب

وكان يحتج للطيرة ، ويقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطيرة ، انراه كان
يتفاعل بالشيء ولا يتطير من ضده ؟ وقال ان النبي مر
برجل وهو يرجل ناقته ويقول يا ملعونة ، فقيل : لا
يصحبنا ملعون . وذهب الى ان الطيرة اصيلة في
الطباع ، وان كانت اظهر في بعض الناس من بعض .

وذكر عنه عبد الله بن المسيب انه دخل علينا يوما
مهرجان ، وعند عبد الله عدة من القيان الحسان

(10) زهر الآداب 2 / 188 .

ان لي مشية اغربل فيها
آمنا ان اساقط الاسفاط
وهي مشية تشيع في المصابين باختلال في
العصب او العضل .

وكان مسرفا في كل امر من اموره . لا تصده
عزيمة ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرايه
وشهواته ، ومسرفا في تهكمه وهجائه ونكاته ،
ومسرفا حتى في استقصاء المعاني ، ولا سبب لهذا
الاسراف الا توفر الحسن ، والاستجابة للرغبات ،
والمعجز عن كبجها ، والانقياد لما تمليه اللحظة الحاضرة

وفي رأي العقاد ان خضوع ابن الرومي لكل
احساس طارئ ، واستفراقه فيه ، لم يترك له منفذا
الى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عما يزينه لسه
الحس والخيال الى ما تمليه عليه الحكمة والحصانة .

واذا كان مزاجه قد اغراه بالاسراف فان اسرافه
جنى على مزاجه ، لان اسرافه الموكل بالاستقصاء في
كل مطلب ورغبة خليق ان يسقم جسمه ، وينهك
اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه
لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي
اعصابه خلل ، وفي صوابه شطط .

— 3 —

ويذهب العقاد الى ان المرء قد تختل اعصابه
فينقلب جريئا جسورا عنيدا مقتحما لمخاطر والاهوال ،
مستهينا بالعواقب وما يقترن بها من آثام ، وقد
تضرب اعصابه فيصير وديعا مطيا شديد الخوف
والحذر ، هيبا للصفائر ، مبالغا في حسان النتائج
والعواقب الى حد التوهم . وقد كان ابن الرومي من
الطراز الثاني .

كان مريض النفس مختل الاعصاب فتطير ،
والرجل السليم لا يتطير ، لانه يتوقع من الدنيا خيرا ،
ولا يحس نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلف الفرع من
مكاره موهومة ، فاذا اصابه مكروه تلقاه بعزيمة ضابطة
لمشاعرث فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام
للفزع .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه خادما يستدعيه
اسمه اقبال ، ليتفاهل باسمه ، فلما اخذ اعينته للركوب
قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانت ناقص .
ومعكوس اسمك (لا بقا) (11) .

وارسل اليه بعض اصحابه غلاما اسمه حسن .
فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسن ، فتفاهل
به وخرج ، واذا امام الباب حانوت خياط صلب عليها
دراعتين بالهيئة اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمر .
فتطير وقال : هذا بشير بان لا تمر ، ورجع وله
يذهب معه (12) .

— 2 —

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا
الحد ، فلم يتجاوزوه الى استكناه تطير ابن الرومي ،
واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في
نشأته وفي نمائه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل
تشاؤم ابن الرومي ويعلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ،
ويلائم بينها في دقة وحصانة ومهارة وتوفيق .

ونستطيع ان نتبين من دراسته لتطير ابن الرومي
ان مراجعته الى نوع من الاختلان العصبي والاضطراب
النفسي (13) .

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف .
يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف
سف تعدو فلا تردده البطء
يا عليما بما اكابد فيه
لا تعاونه ان فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا
ترده البطء وكان متوفر الحس الى اقصى حد ، بهيج
اعصابه اهون مس ، ويستفزه ايسر حادث ، حتى ان
الروائح القوية كانت تؤذيه وتصدعه ، وهذا هو السبب
في ذمه الورد ومدحه الترجس .

وكانت مشيته - كما وصفها هو - مشية المختلج
كانه بين يديه غربا لا يديره :

(11) العمدة / 1 / 40 .

(12) معاهد التنصيص / 1 / 43 .

(13) ابن الرومي لمعاد 65 ، 116 ، 117 ، 127 ، 130 ، 200 ، 209 .

وكثيرا ما تبلغ الطمانينة بالرجل السليم الى
التفاؤل المتسلّم للأمن الصادق والكاذب ، كما
يستسلم المتطير للفرع والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

وإذا فقد كان تطير ابن الرومي مظهرا لاختلال
اعصابه واضطراب نفسه ، وكان ضعف اعصابه وشدة
حذره ومزاجه المتشائم تزيين له أن يتوجس الشر في
كل شيء ، وأن يقلب الكلمة أو الفكرة على ما تحتمله
وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن أن
تؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني
ونظائرها وأشباهاها ، وبين الكلمات وما يجانسها
ويشاكلل أحرفها وأوزانها ، فلا يعوزه أن يعثر بما
يوافق نفسيته الحذرة .

ومن هنا كانت كلمة (جعفر) مثلا تساوي عنه
جاء وفر) وكلمة (الخان) تذكره بكلمة الخيانة :
فكم خان سفر خان فانقض فوفيم
كما انقض صقر الدجن فوق الارانب

بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات
فقال في القينة :

لا تلح من تفتنه قينه

فان تصحيف اسمها فتنة

وقال في شخص ابوه اسمه هرثمة :

عائد دهره اذا سطع النقيـ

ع بمعنى مصحف اسم ابيه

وصحف اسم عمرو الى غير في قوله :

يا عمرو لو قلب ميم مسكنة

باء محرّكة لم تخطيء الفقـ

ولقد استبد به الوسواس في اواخر حياته ،
فصار آفة غلبة على اقواله وافعاله ، لا محيص له عنها ،
فأفرط في الطيرة ، واشتد خوفه من الماء ، حتى كان
لا يركب سفينة مهما تكن مأمونة ، ومهما يكن في
ركوبها من اغراء ، يدل على هذا قوله في وصف سفر
بدجله :

واما بلاء البحر عندي فانه

طواني على روع من الروح واقب

ولم لا ، ولو القيت فيه وصخرة

لواقبت منه القمر اول راسب

ولم لا اتعلم قط من ذي سباحة
سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فايسر اشفاقي من الماء انسي
امر به في الكوز مر المجانسب
واخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنية على نفس راكب ؟

اظل اذا هزته ربح ولاات
له الشمس ملوaja طوال الغواب
كأنى ارى فيهن فرسان بهمه
يلوحون نحوك بالسيف القواضب

— 5 —

ذلك تعليل العقاد لتطير ابن الرومي ، وهو تعليل
في رأي صواب كله ، لان مرده الى نفسية الشاعر لا
الى مؤثرات اخرى من السياسة والاجتماع .

اما اذا اردنا دراسة شعره المتطير فالأجدر بنا
ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الفني
والمذهب الاجتماعي جميعا .

النموذج الرابع

ولع المتنبي بالتصغير

— 1 —

كان ابو الطيب مولعا بالتصغير الى حد لم يعاقله
فيه شاعر ، ولم يخف هذا الولع على دارسيه ، ولكنهم
اذ تنبهوا للظاهرة لم يتعمقوا في التعليل لها .

وحسبنا ان ابا العلاء اجاب ابن القارح حينما
سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولعا
بالتصغير ، لا يقنع منه بخلسة المغير ... ولا ملامة
عليه ، انما هي عادة صارت كالطبع تفتقر مع المحاسن » .

— 2 —

ويعلق العقاد على كلمة المعري بقوله : لا شك
انها عادة كما قال المعري ، ولكن أي عادة هي ؟ أمن
عادات اللفظ ؟ أم من ضرورات الوزن ؟ أم من عبثات
اللسان ؟

ويجيب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظن عادة في
الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعري الا
لأنها من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجاراة لنواذعه .

ثم يعلل لهذا الكلف تعليلا تفرد به ، وذلك ان المتنبى كان يتعالى بنفسه على التكسب بالمدايح والزلفى الى الملوك والامراء ، وكان يرى انه خلق لما هو اجل ، وارفع من ذلك ، وهو امالك والقيادة ، فلا يبالي ان يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد فى قصائده التي يمدحهم بها .

وكان يؤنب نفسه اذا ما آنس منها ركونا الى حياة الدعة ، واطمئنانا الى منامه بين حاشية الامراء واتباعهم المتكئين على عطاياهم ، فيحفظها وينحيا عن هذا المقام ، ويذكرها ما اعدت له من المجد والعظمة .

لكن المتنبى كان شريكا فى العظمة الدنيوية والاخلاق العلمية فى كل ما هو من باب الشعور والملاحظة ، ولم يكن شريكا فى كل ما هو من باب الانجاز والتنفيذ . كان يشعر شعور عظماء الاعمال ،

ويقى الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون فى حركاتهم وسكناتهم ، وتساوره المطامع التي تساورهم ، ولكنه لا يتم الامور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطامع ولكن فى داخل نفسه لا فى ظاهر عمله ، فله فى خلقه وتفكيره استعداد عظماء الاعمال ولكن بغير دابة العظمة .

واذا كان شعوره بالعظمة قد بدا فى المبالغة والتويل والتفخيم احيانا فان شعوره بالتأفف والاشمئزاز والتحقير قد بدا فى التصغير احيانا اخرى ، فاذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه ، فاذا الشيء شوىء واذا الرجل رجيل .

واكثر ما يصغر المتنبى حين يهجع مفيظا محنقا ، او يستخف متعاليا محتقرا ، كما يقول فى كافور .

اوى اللثام كويغير بمعدرة
فى كل لؤم وبعض المدر تفنيد

وكما يقول فى الشعرا الذين يزاحمونه :

انى كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاوينى قصير يطاول

وكما يقول فى اهل زمانه .
اذم الى هذا الزمان اهيله
فأعلمهم قدم وحزمهم وغمد
ذلك تعليل العقاد لولوع المتنبى بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه أرجع التصغير عند المتنبى الى شعوره بالعظمة والى ازدرائه الناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوع المتنبى بالتصغير من هذه العظمة المصطنعة التي يمازجها احتقاره للناس .

وذلك ان المتنبى فيما ارى كان ينفس بهذا التصغير عن موجدته وحنفه وشعوره بالعجز عن تحقيق ما يتشاه ، فقد ذم الحياة ، وادعى انها لا تواتى الا الاغبياء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى النفوس من زمن
احمد حاله غير محمود
وقوله :

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وقوله :

فترى الدار اخون من مومس
واخدع من كفة الحابيل
وقوله :

من خص بالدم الفراق فانني
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد
وقوله :

وشبه الشيء منجذب اليه
واشبهنا بدنيانا الطعام
ولو لم يعمل الا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام
ولو لم يصرع الا مستحق
لربته اسامهم المسام (14)

وكذلك حنق على الناس ، لانهم نالوا ما لم ينل ، وبخاصة اصحاب الفنى والمجد والجاه ، وساء رايه فيهم وفى اخلاقهم .

(14) المسام : الرعية . الضمير فى اسامهم يعود الملوك المذكورين فى اول القصيدة : اي لو كانت الامارة بالجدارة لوجب أن يكون الملوك رعية ورعيتهم ملوكا لانهم احق منهم بالملك .

من ذلك قوله :

انما انفس الانيس سباع
يتفارسن جهرة واغتبالا
من اطاق التماس شيء غلابا
واغتصابا لم يلتمه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى
ان يكون الفضنفر الرنبالا
وقوله :

اذا ما الناس جريهم لبيب
فاني قد اكلتهم وذافا
فلم ار ودهم الا خدعا
ولم . ار دينهم الا نفاقا

وقوله :

ولا تشك الى خلق فتشمتته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقوله :

وكن على حذر للناس تسترته
ولا يفرك منهم تغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة
واعوز الصدق في الاخبار والقسم

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصغير ، لانه
في تعبيره لون من الهجاء والتحقير ، وضرب من
الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعث ذلك كله التنفيس عما
يعتمل في نفسه من عوامل متعددة ، اهمها الفرور
والتعالي المصطنع ، والسخط على الحياة ، والموجدة
على الناس ، ولهذا يقول :

اذم الى هذا الزمان اهليته

فاعلمهم قدم واحزمهم وغمد

واكرمهم كلب وابصرهم عثم

واسهدهم فهد واشجمعهم قرد

على أنني لا اوافق العقاد في قوله « ان المتنبي
اذا ازدري شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدرء
يشوبه الضغن » لان المتنبي المتعاطف لا يضطغن على
رجل حقير ، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع

اليه او يباريه او يباليه ؟ بل يضطغن على العظيم لانه
قصر عن بلوغ غايته ، او لان الحظوظ التي نولت هذا
العظيم اسباب علاه ضنت على المتنبي بما كان يصبو
اليه ويتشبهاه .

واذا فان كلف المتنبي بالتصغير كان صدى لما
يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحياة السياسية
والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات
ورثبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة
والدهاء اهم الوسائل لظفر الطامحين الى الحكم ،
والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد والفساد
والنفاق والملك والمنافسات واستكانة الشعوب
واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

النتيجة

لعله قد تبين من هذه اللوحات ان الدراسة
النقدية لا يصح ان تنحصر في نطاق المدرسة النفسية
التي اثرها العقاد ، ولا يسوغ لنا ان يقصرها على
اصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، او يحصرها في
مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانه لا
مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ،
لان بعضها يخدم بعضا ، ولان بعضها يجدي حيث لا
يجدي سواه .

واذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنهج
السليم الكامل ، فان الدارس او لناقد ليس محتوما
عليه ان يطبقها جميعا في كل حالة من الحالات ، فقد
يكون الاستئناس بمصايحها كلها هو الهادي السوي
الطريق ، وقد يكون في مصباحين او مصباح واحد
غنساء .

وعلى الدارس والناقد ان يتخير في دراسته
الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالا وثيقا بالشخصية
التي يمرضها ، او النص الذي يدرسه ، وان يتعد في
دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتساف ، حتى
لا يلبس الشخص او يضيف على النصوص اريدية
واسعة العرض ، او مفرطة الطول ، او ضيقة عن
القدود .

النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللّفة العربية

الدكتور إبراهيم سليم أنيس
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه
« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرين اختلاف عدد
الحروف في تلك الروايات حاولوا تفسير ذلك أو تعليقه
فيقول صاحب البصائر : « وأما الحروف فان بعض
القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا
القرآن عنده اكثر » !! غير ان مثل هذا التعليل في
رأيي ، لا يكفي في تسويغ التعدد في الروايات واختلاف
الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الفيروزآبادي في كتابه
البصائر ثمانية ارقام مختلفة لمجمل عدد الحروف في
القرآن مؤكدا ذكرها وضبطها بالكتابة أي لا يكتفي
بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروايات التي جاءت في كتاب البصائر
مع الاكتفاء هنا بذكر السند في الرواية ، الاولى وحدها
رغبة في الإيجاز :

(1) وأخبرنا الحسن ، أنا أبو الحسن ، أنا ابن
مسلم ، أنا وكيع ، أنا اسماعيل ابن مجمع ، أنا محمد بن
يحيى ، أنا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني أيوب ،
وأبو عكرمة ، عن مرجى ، عن جعفر بن سليمان ، عن
مالك بن دينار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج :
عدوا لي حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وأبو العالية ،
ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشعير وأجمعنا على أنه
ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون حرفا ، وفي رواية

جاء في كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف
الكتاب العزيز » تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن
يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة 817 هـ ، روايات
متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم أنها جميعا
تدور حول الاحصاءات القرآنية من حيث عدد السور
والآيات والكلمات والحروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهود الاحصائية الاستقرائية الى
بعض من مشهوري العلماء والقراء الاوائل ، بل يبدو من
بعض تلك الروايات ان العلماء والقراء قد تصدوا لتلك
العملية الاحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، أو
ربما منذ أيام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الاحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد
جيل ، ويتلقفها المفسرون والدارسون ، وربما يكون
منهم من جاول تحقيقها فأعاد الاحصاء والاستقراء حتى
انتهت لدى المتأخرين من العلماء على تلك الصور
المتعددة والروايات المختلفة التي نراها في كتاب
البصائر للفيروزآبادي ، وفي حاشية الجمل على
تفسير الجلالين منسوبة للإمام النسفي ، وأخيرا
نجدها في كتاب الكشكول للعالمي وقد أصابها كثير من
الخلط والاضطراب .

وأوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروايات
عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن
القرآن منذ نزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو هو
لم يزد حرفا ولم ينقص حرفا ، حفظته الصدور ،